آية الله السيد محمد حسين فضل الله
مرجع اسلامي -لبنان

دراسات ومقالات

معالم وحدوية لتجاوز مخاطر الإنقسام والتفتيت

نلتقي مجدداً في مؤتمر يعنى بالتقريب بين المذاهب الإسلامية.. حيث يتجدد السؤال.. هل استطاعت الوحدة الإسلامية أن تشق طريقها وسط تلاطم أمواج التفرق والتفتت والمذهبية والطائفية التي تعصف بواقعنا؟!.

وهل نستطيع أن نصمد نحن القلة أمام الكثرة التي تثيرها كل الوساوس الداخلية والخارجية،ب والتي تعتبر أن دعوات الوحدة ما هي إلا وسيلة ليستفيد منها هذا المذهب لينفذ إلى ذلك المذهب، وليكسب من خلالها أنصاراً جدداً وبالعكس؟ أو نترك العنان لمن يعتقد أنها أسلوب ماكر لاستيلاء دولة أو جهة ما على كل الواقع الإسلامي وقيادته، لكونها تدعو إلى أمر يدغدغ القلوب والعواطف ويستقطب الجمهور، أم نستجيب لمن يقول أن فكرة التقريب لا واقعية لها وسط إرادة التكفير الصادرة من هنا وهناك، حتى بات من يعترف بإسلام الآخر يقول ذلك من باب المجاملة، فيما حقيقة ما يعتقده غير ذلك؟ أم أن نستسلم أمام واقع بات قاسياً إلى حد لا مجال معه للحل بعد أن دخل الصراع مرحلة الدم، حيث كل مذهب وفريق يسعى إلى قتل الآخر وتدميره وإزالة وجوده، وبالتالي ما الجدوى من مؤتمرات ولقاءات تعقد هنا وهناك...؟!

إننا نعتقد على الرغم من كل ضجيج الخلافات والمقولات المحبطة التي نرى أثارها في الواقع المحيط بنا، إن الأمة تتقدم نحو هدفها، وستصل إليه إن شاء الله تعالى رغم وعيها أن العقبات لن تكون بسيطة وسهلة.. وأن ما يضج به هذا الواقع هو نتيجة مئات السنين من الصراع، وما أنتج من أحقاد وضغائن ومن عدم نضج في التعامل مع الاختلاف، ومن جهل السبيل الأمثل لعلاجه، واستمرار سعي البعض إلى إعادة عقارب الزمن إلى ما وراء الوحدة والتآلف والود..

لذلك تحتاج الأمة إلى مزيد من الوقت كي تستطيع أن تخطو خطوات واسعة باتجاه الغايات المنشودة.

من هذا المنطلق لا بد من التقدير الكبير للمبادرات التي تقوم بها الدول والحكومات، والتجمعات العلمائية.. والمؤسسات والمرجعيات الدينية والشخصيات الوحدوية، من أجل تعزيز الوحدة الإسلامية والتقريب بين مذاهبها... وأن نؤكد من خلالها على جدوائية هذا العمل والتحرك، وعلى إمكانية تطبيق هذا الفكر في كل الواقع، خصوصاً أن الرصيد الفكري لخط الوحدة لا يستهان به، فضلاً عن هذه الوجوه والطاقات الحاضرة والفاعلة هنا وهناك، ناهيك عن المصالح الكبيرة التي ستعبر عنها حالات التقريب والوحدة في هذا المجال أو ذاك.

أيها الأخوة العلماء: إن نجاح تجربة توافق في هذا الموقع وفي ذاك، ومهما كان حجم هذا الموقع، يؤكد إمكانية نجاحها في أي موقع آخر. لأجل ذلك فإننا ندعو إلى دراسة التجارب الإسلامية الوحدوية ونقلها إلى المواقع المختلفة في العالم الإسلامي الذي يراد له أن تلتهب فيه الفتن المذهبية والطائفية والسياسية. سيما وأن هناك أكثر من تجربة ناجحة نعتز بأهميتها في لبنان ومصر وإيران.. والعراق.. وغير ذلك من بلدان العالم الإسلامي..

كل هذا لا يعني، الاستكانة لكل هذه الآمال ولا التجارب والنجاحات المتحققة... إذ لا بد من العمل الحثيث لفتح كل النوافذ التي لا تزال نصف مفتوحة، أو مغلقة، وأن نستمر في السعي إلى فتحها أمام اللقاء والحوار والتلاقي، كي لا تستمر مسيرة التمزق، وسياسة الاختلاف التي تحكم واقعنا...

وكم هو حريٌّ بنا أن نقتدي بمسيرة رسول الله(ص) وسيرته، لنعيش معه الحرص الكبير على الوحدة، وعلى استنفار الطاقات والتدخل السريع عندما كانت تنطلق الأحداث لتهز وحدة المسلمين، هذا كان حاله في علاقة الأوس بالخزرج.. أو المهاجرين والأنصار أو المهاجرين فيما بينهم... حين كان يسعى المنافقون واليهود لإثارة التوتر الدائم بين ظهرانيهم مستغلين سرعة الغضب والانفعال لديهم.

فكان يقف ويوجه ويرشد ويهدئ، محذراً في قوله: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ومشدداً على الاستذكار الدائم لنعمة الأخوّة والوحدة والتضامن. "واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها" إلى "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم...."..

إن حجم التحدّيات التي لا تزال تواجه الوحدة الإسلامية تفترض البقاء في الساحة لمعالجة كل الثغرات التي يستفيد منها الساعون لهزها وكل ما يستحدث من أجواء تسيء إلى هذه الوحدة وإلى التقريب بين كل تنوعات الواقع الإسلامي، وهذا ما يحتاج إلى استنفار دائم... استنفار كل الواعين في الساحة، وعدم ترك الأمور تتفاعل وتتضخم لتوسع الشرخ بين المسلمين وتعمق جراحهم، كالذي يحدث في العراق... أو في لبنان، أو بين إيران والمحيطين بها، أو في ما يثار من الأفكار الخلافية الملتهبة والتي لا تطرح في الإطار العلمي، وغير ذلك من القضايا التي لا يوجد من يتعامل معها بمسؤولية تساهم في تبريد الأجواء وتخفيف التوتر وتمهيد الطريق لاستعادة الوحدة... وهذه المسؤولية جعلها القرآن همّاً دائماً للمسلمين عندما قال: "﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات/٩-١٠) (. لذلك نعتقد أننا بحاجة في هذه المرحلة إلى النظر بجدية إلى عدة من العقبات التي تنتصب أمام مسيرة وحدة المسلمين...

أولاً: في المسألة السياسية

لا يزال الواقع السياسي يمثل المصدر الأساس والأول في إثارة الخلاف بين المسلمين.. كونه يمثل ساحة من ساحات العمل الذي يعتمده الاستكبار للحؤول دون تعاظم أي قوة أو دولة أو جهة تسعى لمقاومة نفوذه، وذلك من خلال إثارة العنوان المذهبي الذي يحمله هنا وهناك، بحيث يعمل على تحويل أي خلاف سياسي داخلي إلى خلاف مذهبي كما هو حال التعامل مع الخلاف بين المسلمين في العراق ولبنان وكما يتم التعامل مع سوريا وإيران وفلسطين...

إن الخلاف المذهبي موجود وكان موجوداً طوال التاريخ لكن إثارة هذا الخلاف كان دائماً يفتعل من قبل الذين يحركون الواقع السياسي. فهؤلاء كانوا دائماً يلجأون إلى الخلافات المذهبية لتحريك العصبيات بين المسلمين ضد بعضهم البعض.

إن المرحلة تقتضي تحركاً من كل الغيارى لإزالة التوترات بين الدول الإسلامية والتي لا يستفيد منها إلاَّ من لا يريدون خيراً للأمة، والتزام القاعدة التي أطلقها الإمام علي(ع) "لا سلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلاّ عليَّ خاصة". فلا يسمح للمصطادين بالماء العكر أن يتحركوا بحرية أو يسمح لهم باللعب على تناقضات المسلمين وتحويل الصراعات السياسية عندهم إلى صراعات مذهبية، ونحتاج أيضاً إلى مضافرة جهود كل العلماء والمفكرين المخلصين لتوعيه الأمّة على ذلك، والسعي لدى المنظمات الإسلامية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي والجامعة العربية إلى تخفيف الاحتقانات التي تنشأ بين الدول لاسيما عندما تترك تأثيرها على الواقع المذهبي، وتتيح للقوى المعادية الإستيلاء على الساحة، والإسراع في مواجهتهم، وعدم الانصياع لكل من يسعى إلى تعميق جذور الخلاف فيما بينهم، لاسيما أن الناتج من هذه الخلافات لا يبقى في الدائرة الدينية عادة وإنما يمتد ليتحول ضعفاً في المناعة تفقد هذه البلاد مواقع القوة فيها وتمنعها من تحقيق استقرارها.

ولأجل ذلك لا بد من:

أـ إيجاد قوة ضغط من قبل العلماء وكل الفعاليات الحريصة على الوحدة بين

المسلمين من أجل منع تمدد الخلاف إن حصل، وحصر هذه الخلافات في الدائرة السياسية ومنع امتدادها إلى الجانب المذهبي.

ب ـ الإسراع في معالجة كل الإثارات التي ينتجها الخلاف السياسي في الجانب العقائدي أو التاريخي أو التشريعي أو القرآني والتحرك لتبيان الرأي فيها وعدم النظر إلى هذه الاختلافات بسلبية بل بمسؤولية.

ج ـ إبراز ما تتضمنه الدراسات والمواقف التي تصدر عن مراكز دراسات الغرب وقياداته السياسية، والتي تظهر سعي الدول الاستكبارية لإثارة الفتن ولتمرير مشاريع التجزئة في المنطقة وفي العالم الإسلامي .... والتنبيه إلى ما تعمل له الوسائل الإعلامية المرتبطة بتلك الأجهزة من تسليط للضوء على الخلافات بين المسلمين وتكبيرها... وسعيها لإبراز النماذج المتعصبة باعتبارها صوراً تمثل الإسلام وحركته.

دـ التأكيد على وجود أخطار تحدق بكل الواقع الإسلامي والعربي... والتي هي السبب في توليد الأزمات التي تحيط بالمسلمين في أكثر من منطقة ودولة خاصة في العراق وإيران... وأنّ على المسلمين أن يعوا أن مخططات المستكبرين تسعى إلى إسقاط كل مواقع القوة عندهم، كي تبقى بلاد العرب والمسلمين بقرة حلوب يستدرونها لصالحهم.

هـ ـ عدم الاستجابة لمنطق التخويف من الجمهورية الإسلامية [الإيرانية] الذي تعتمده السياسة الأمريكية الاستكبارية حالياً في سعيها من أجل تحويل الأنظار عن سياستها العدوانية الداعمة لسياسة الكيان الصهيوني في المنطقة، وذلك لتأجيج المخاوف المتبادلة بين الشعوب الإسلامية والدول الإسلامية فيما بينها بدلاً من اتجاه المخاوف إلى وجهتها الحقيقية.

ثانياً: في الدعوة المذهبية

إن من المسائل الحساسة والخطيرة هي سياسة الترويج للمخاوف من سيطرة لمذهب على مذهب آخر، بحيث بات يثار في الواقع الإسلامي أنَّ هناك سعياً شيعياً

لتشييع السنة، وسعياً سنياً من أجل تسنن الشيعة، وهو حديث للأسف أصبح يسهم في بثه ونشره بعض علماء المسلمين وفعالياتهم، مما أدى إلى استنفار الواقع من قبل كل مذهب تجاه المذهب الآخر، فلم تعد قضية التبشير أو التنصير، ولا حركة الملحدين لاستعداء الدين تلقى اهتماماً، ولم نعد نحرك ساكناً لمواجهة السعي الحثيث لجعل المجتمع الإسلامي مجتمعاً خاوياً يعيش لغرائزه وشهواته بعيداً عن قضاياه ودينه.

إننا نعتقد أن هذا الأمر لا بد من دراسته جيداً من خلال النقاط التالية:

أـ البحث عن الطرق العلمية لإصدار الأحكام الحازمة ... فأية إحصائيات دقيقة نعتمد عليها لإصدار هذا الحكم أو ذاك عن حركة التشييع أو التسنين في وقت يبدو الأمر أخباراً متناثرة من هنا وهناك، وخصوصاً بعدما تأكد أخيراً لكل المعنيين تضخيم الكثير من الحالات، وذلك من دون أن ننكر أن هناك سعياً فردياً أو جماعياً لأجل إقناع أفراد أو مجموعات محدودة بالتحول من هذا المذهب أو ذاك إلى مذهب آخر،أو من هذا الاتجاه إلى ذاك. هذه هي حدود الموضوع الذي لم يتحول إلى ظاهرة يؤخذ بها ويبنى عليها، وهذا الأمر لا يتعلق بمذهب دون الأخر بل يعم الجميع، ولذلك ندعو العلماء إلى التدقيق بما يطرح في هذا المجال، وعدم الانزلاق إلى تكبير أحجام القضايا التي يتم استغلالها بطريقة سيئة جداً من قبل المتربصين بالمسلمين شراً من أعدائهم في الداخل والخارج.

ب ـ إننا في الوقت الذي نؤكد فيه على أهمية السعي إلى استمالة غير المسلمين إلى الإسلام لتعريفهم به ولاسيما الذين لا يلتزمون بالديانات السماوية، فإننا ندعو إلى عدم النظر بالسلبية الكبيرة لانتقال المسلمين من مذهب إلى مذهب آخر، حيث الجميع لا يزالون يتحركون ضمن الدائرة الإسلامية الواحدة.. إنهم مسلمون ولكن يرون الإسلام من خلال المذهب الذي ينتمون إليه... وغيرهم مسلمون يرون الإسلام من خلال مذهبهم، ويلتقي الجميع على العنوان الإسلامي الذي ينهلون من مصادره الأساسية، وإن اختلفوا في فهم هذه المصادر وتنوعت الاجتهادات في فهمها.

ج ـ العمل على عدم إثارة هذا الموضوع وغيره من المواضيع التي قد تساهم في

تعزيز لغة التوتر الداخلي إعلامياً، بل لا بد من التداول في هذه الأمور مع أصحاب الشأن ممن يملكون التأثير الإيجابي والفاعل في هذا المجال وتقديم الاقتراحات التي تساهم في حل أية مشكلة طارئة بالتي هي أحسن.

ثالثاً: في مواجهة منطق التكفير

كم هو ضروري الحؤول دون تنامي لغة التكفير، التي أصبحت لغة عامة للمسلمين، بحيث راح كل فريق ينبش من التراث ما يؤيد لغته التكفيرية من كلمات التكفير الصادرة من علماء معروفين من هذا المذهب على من هم في ذاك المذهب وبالعكس، لتقضي على كل دعوات التقارب في مهدها.. فما دام كل مذهب يكفّر الآخر... فلا وحدة بعد ذلك ولا تقارب...

على أن هذا الأمر قد لا ينطلق فقط من منظار سلبي تهجمي بل قد ينطلق من الحرص على سلامة المذهب وعدم ذوبانه في المذهب الآخر والتلاقي معه. وهذا يستدعي:

أ ـ التدقيق فيما ينقل عن هؤلاء العلماء، ومدى الدقة في نقله، لاسيما عندما ينطلق من علماء كانوا دعاة للوحدة الإسلامية والتقارب بين مذاهبها.

ب ـ عدم الأخذ بعين الاعتبار ما يثيره الكثير من العلماء الذين لا يرون هذا الرأي بل يفندونه من خلال الآيات والروايات.

ج ـ التأكيد أن النظرة إلى الكفر... قد تتصل بعدة جوانب، فهناك الكفر المطلق، عندما لا يؤمن الإنسان بأي شيء مما ينبغي الإيمان به، ولكن هنالك الكفر الذي قد يكون بجانب أو بقضية: فالكفر قد يكون بوحدانية الله مرة وبالرسول مرة أخرى، وبالأئمة مرة ثالثة أو بعدالة الصحابة تارة أخرى فالكفر هنا نسبي وتتعدد موارده... وهذا يعود إلى نظرة من يطلق هذا الكفر. فقد يرى أن الآخر يغطي الحقيقة في هذا الجانب أو ذاك، لأن الكفر هو تغطية الشيء وستره، فهذا الكفر هو الذي قد يراد من أحاديث بعض العلماء وليس المقصود بذلك هو الكفر المطلق والذي قد تكون له مفاعيل سلبية.

دـ لا ينبغي اعتبار الكفر حتى لو ثبت سبباً للقتل أو التفجير والتدمير لمقدسات الآخر.. حيث لم يسمح الله بقتال أولئك الذين قد نختلف معهم في الدين، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة/٨-٩) .

هـ ـ إن ما استفدناه من دراستنا للفكر والتاريخ الإسلامي أن الإسلام احتضن المسلمين مع تنوعاتهم، كما احتضن غير المسلمين في بيئته الرحبة وهذا ما يجب أن يكون دأبنا اليوم في هذا المجال.

رابعاً: في تطويق دعاة العصبية

إن من المسائل المخيفة هي انكفاء العلماء الواعين خشية تكفيرهم من قبل دعاة العصبية، أصحاب القدرة على تحريك الغرائز المذهبية، فإذا تركت الساحة للمتعصبين المذهبيين من دون العمل على مواجهتهم، فإن تأثيرهم سيمتد ليأكل أخضر الأمّة ويابسها.

ومن هنا لا بد من الإلتفات إلى النقاط الآتية:

أـ التشديد على أهمية حضور العلماء الواعين في الساحة، لان البدع إذا ظهرت، والانحرافات الفكرية إذا توسعت، فعلى العالم أن يظهر علمه، وذلك ليميز الحق من الباطل..

ب ـ الحؤول دون تأثيرات الذين يمثلون العصبيات المذهبية وعدم الانصياع لهم، حيث لا بد من السعي لتأمين الإمكانات والقدرات للعلماء الواعين ليؤدوا دورهم الفعّال في تحمّل مسؤولياتهم الكبرى. ولا بد في هذا المجال من تأكيد الثقة بالله الذي وعد بقوله " ومن يتّقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه"...

"أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم" فلا بد من النظر بعين الله الذي من أصلح العلاقة معه فهو القادر على إصلاح أمره مع الناس.

ج ـ لا بد من الثقة بأن الأمة مع الفكر الواعي، والموحَّد والذي يريد أن يستنفر طاقاتها في اتجاه الخير وهي ليست مع الفكر الذي يقسمها ويضعف مواقع القوة عندها.

خامساً: في مواجهة التمييز

إن سياسة التمييز التي تمارسها حكومات إسلامية بحق من لا ينتمون إلى مذهبها تعد من المعيقات الكبرى أمام الوحدة، من هنا ضرورة عدم التمييز بين المسلمين في حقوق المواطنة والنظر بعين الجديّة لحقوق الأقليات من المذاهب المختلفة في البلدان العربية أو الإسلامية، بحيث لا ينتابهم الشعور بالغبن في التعبير عن مذهبهم أو في إقامة شعائرهم أو في حقوقهم الطبيعية، لأن ذلك يرسخ مشاعر التوتر المذهبي ويجعلها حاضرة في وجدانهم تجاه الذين لا يبالون بإسلامهم كعنوان مشترك بينهم وبين الآخرين، كما لا يبالون بالعنوان الوطني الذي يعتبر المواطنون سواسية. إذ من شأن ذلك أن يجعل أصحاب المذاهب الأخرى يمارسون الأمر نفسه مع الأقليات في موقع آخر، أو يؤدي إلى وجود فئات تستغل هذا الواقع للتحريض على ذلك باسم حماية السنة أو حماية الشيعة.

لذا لابد:

من التأكيد على المواطنة وإعطاء المواطنين حقوقهم بعيداً عن التصنيف المذهبي كي لا يفكر أتباع المذهب المغبون برد فعل مشابه في موقع آخر.

اعتبار أعطاء حقوق المواطنة هي الضمانة لجميع أتباع المذاهب التي تشكل أقلية في موقع وأكثرية في موقع آخر، ولا بد أن نحفظ حقوقها جميعاً.

اعتبار الإسلام بعدالته هو الذي يجب أن يحكم حركة المسلمين مع بعضهم البعض وليس الإطار المذهبي في دائر الوطن الجامع ليشكل ذلك عنواناً واحداً لهم ولو في بعض الجوانب.

سادساً: في التعاطي مع المشاريع الوحدوية

لا بد من الترحيب بأي طرح وحدوي، وعدم إثارة الحساسية من أي مشروع للوحدة لكونه انطلق من هذه الدولة أو تلك، أو لكونه انطلق من هذا المذهب أو ذاك، لأن الوقوف أمام هذه العقدة يعرّض الكثير من المبادرات الجدَّية، التي تنطلق من هذا أو ذاك، للرفض وعدم التعامل معها بالإيجابية التي تستحق.

وهنا ينبغي الإشارة إلى العناوين التالية:

أ ـ التأكيد على الأخذ بأيّة مبادرة تحاكي الروحية الإسلامية التي تدعو إلى الوحدة والاعتصام بحبل الله وعدم التفرق، وعدم الاستجابة لتسويلات الشيطان الذي يدخل إلى عقل الفريق الذي نتوجه إليه بالمبادرة.. بأن هناك خلفية من ورائه وأن الأخير يستفيد منه مما قد لا يكون له واقعية. ولو فرضنا جدلاً وجود واقعية ما لهذا الطرح، فإن ايجابية الوحدة والتقارب لو تحققت هي أفضل بكثير من سلبيات التفرق وإن استفاد الآخرون من ذلك، لأنه في النهاية سيصبّ في مصلحة الإسلام والمسلمين.

ب ـ الانطلاق بالمشروع الوحدوي من كل المذاهب والأطراف التي تمثلها... بحيث تزال من خلال ذلك كل إشكالات الذين يتحدثون عن إستعداء هذا المذهب أو ذاك... وذلك عندما يناقش الجميع هذا المشروع ويتوافقون عليه ويتفهّم كل منهم هواجس الآخر ويعالجها.

ولأجل ذلك نؤكد على أهمية وجود ميثاق إسلامي مشترك، ينطلق من ما يتفق عليه جميع علماء المذاهب ومفكريهم.

سابعاً: في المسؤولية حيال الخطاب

لا يخفى على أحد الدور الخطير الذي تلعبه وسائل الإعلام والخطباء في تأجيج الفتنة، ونحن مطالبون بالعمل على الحدّ من سياسات وتوجهات بعض وسائل الإعلام الإسلامية والمنابر التي تثير حساسيات المذاهب الإسلامية الموجودة في الساحة العامة، وتساهم بإثارة الخلافات وتأجيجها بدلاً من وأدها وإضعافها.

مما يستدعي:

أ ـ الحكمة في تقديم المذهب بالطريقة العلمية والموضوعية التي لا تستدعي استثارة حساسية الآخرين من المذاهب الأخرى.

ب ـ دراسة الجوانب التي تثير حساسيات الآخرين المذهبية والابتعاد عن طرحها.

ج ـ اعتبار العنف الكلامي أو غير الكلامي لا يؤدي إلى نتيجة في حل الأختلافات المذهبية بل يزيدها ويفاقمها. ولأجل ذلك لا بد من التأكيد على قوله تعالى: "وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن" "وجادلهم بالتي هي أحسن" فالكلمة الطيبة هي التي تفتح القلوب، أما الكلمة الخبيثة والأسلوب المتوتر أو المتصف بالانفعال فلن ينتج إلا ردَّات فعل سلبية. ولذلك قال الله سبحانه لرسوله (ص): " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك".

ثامناً: في المسألة الأخلاقية

إن من الأهمية بمكان التشديد على الجانب التربوي السليم في التعامل مع الأجيال الإسلامية، حيث من الواجب نشر قيم الإسلام بدون تحيزّ وبدون تعصب، وذلك باعتماد العناوين الإسلامية الجامعة، والأخوة في الدين والتساهل والرحمة في العلاقة بين المسلمين فيما بينهم... وذلك باستحضار قول النبي (ص): "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وقوله عندما عرّف الإسلام: "الإسلام: حسن الخلق، وان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم الدرجات وشرف المنازل".

ذلك أن المجتمع عندما يفتقد الأخلاق والقيم، فإنه يفقد البوصلة التي حددها الدين ودعانا للسير باتجاه غاياته من خلالها..

إن ما يعاني منه مجتمعنا الآن وسابقاً هو الابتعاد عن الخلق السليم ولعلَّ هذه المشكلة هي التي تعزز عناصر الخلاف بين المسلمين.

فلو أن الواقع الإسلامي التزم بمبدأ عدم التقاطع والتدابر الذي أشار إليه النبي(ص): "لا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباداً إخواناً بررة"... لساهم هذا في التواصل وحل

الكثير من نقاط الخلاف التي ساهم فيها التقاطع والتدابر ..

ولو أن المجتمع بنى علاقته على حسن الظن بالآخر لحلت كثيراً من النزاعات التي سببها سوء الظن، حيث ورد عن رسول الله(ص) "لا إيمان مع سوء الظن"..

وفي حديث آخر: "من غلب عليه سوء الظن لم يترك بينه وبين خليل صلحاً". ولو وقف على العلم ولم يأخذ بالظن والتهمة لما ظهرت الكثير من الانقسامات التي سببها الجهل بالآخر.

لأجل ذلك، كانت المسؤولية على العلماء والواعين، وعلى كل المجتمع المعنون بالإسلام أن يعتبر الأخلاق عمق دينه وهي الواجهة الحقيقية له.

وعندما يتحقق ذلك تزول الكثير من الحسابات وتعود القلوب إلى صفائها وطهارتها... ومتى عادت، تصفو العقول وتتواصل حتى لو اختلفت، ولا تتحاقد حتى لو تباعدت أراؤها... ولا يسيء بعضها إلى البعض الآخر حتى لو تنوعت أفكارها.

هذه بعض العوائق والعقبات التي تنتصب أمام الوحدة، والأمّة لن توقف مسيرتها إن سعت إلى حلها، فنحن نعتقد أن الأمّة حريصة على تجاوزها وستتجاوزها بعون الله تعالى، لاسيما وأن الإسلام يواجه حرباً عالمية عليه وعلى أتباعه ورموزه، وهذا يستدعي منها، ومن كل قادر فيها عملاً دؤوباً وسعياً متكاملاً لا ينطلق من خلال ظروف طارئة وينتهي، بل يستمر ليؤكد لكل الذين يسعون إلى الإساءة إلى قوة المسلمين وثرواتهم ومقدراتهم، أنهم ليسوا لقمه سائغة لهم، بل هم في مستوى التحدي... وسيكونون الأقوى.. والأعلى "ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين".